

# النهار

أدب،  
فكر،  
فن

جبران طرزي معرضاً استعاديّاً في "صالة صالح بركات"



اقرأ هذا الخبر على موقع النهار: <http://newspaper.annahar.com/article/568467>

**محمد شرفاء**

11 نيسان 2017

من يتصفح بعض المقاطع من تاريخ عائلة طرزي سيؤخذ بذاك المصير اللافت الذي عصف بالعائلة على مدى ما يقرب من قرن ونصف قرن في الزمن. فأفراد هذه العائلة، الذين توارثوا مهنة العمل في مجال الأنتيكات، والحرف المتصلة بالهندسة والزخرفة الداخلية، تركوا أثراً عميقاً في المجال المذكور خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وذلك في زوايا أربع من البلاد العربية، من دمشق، مروراً بالقدس والرباط بالمغرب، وصولاً إلى العاصمة اللبنانية بيروت، من دون ان ننسى القاهرة أيضاً.

هذه الرحلة "المتوسطية"، التي تذكّرنا، إلى حد ما، بأجواء سينمائية من صنع الأخوين الإيطاليين باولو وفيتوريو تافيانني، أو بشريط "بابل" لأليخاندرو غونزاليث إيناريتو، كان جد العائلة ديمتري طرزي قام بها بهدف تكوين محترفات في أمكنة مختلفة، من شأنها أن تتوزع على أبنائه الستة عشر، في سبيل العمل في الحرفة التي صارت تقليداً لدى عائلة عالمة بتفاصيلها وأسرارها. هكذا، وجد الحفيد جبران طرزي نفسه منغمساً في هذا العمل الذي تطلب منه أن يبقى موزعاً بين الرباط وبيروت، قبل أن يستقرّ نهائياً في لبنان كي يكمل تراث العائلة، وكي يعمل، لاحقاً وفي شكل تدريجي، على وضع رؤى

خاصة لموضوع الخط والزخرفة، وتطويرها.

هذه المحاولات والإنجازات التي امتدت على مدى حياة كاملة، نجد أمثلة عنها في المعرض الاستعدادي الذي نظمته "صالة صالح بركات"، سعياً منها إلى إلقاء الضوء على تجربة جبران طرزي الفريدة من نوعها.

اتخذ المعرض عنوان "12 فصلاً"، وهو يشير، من خلال تعدد الفصول، إلى تنوع المروضات، وتوزعها على فترة زمنية مديدة. هذه الفصول الإثني عشر تبدو كأنها لا تقتصر على حياة جبران طرزي فحسب، بل تناول أحوال العائلة ككل، نظراً إلى العلاقة الجدلية بين الحياة الشخصية وحياة العائلة التي التصق إسمها بمهنة محددة. كان الفنان ولد في العام 1944، وفي السنوات التي تلت ولادته انتقلت العائلة إلى مدينة الرباط بالمغرب، حيث أسست لنفسها مكاناً واكتسبت أصدقاء، وحيث ظهرت بوادر شغف الفنان بالأدب في شكل عام وبفلسفة جان بول سارتر الوجودية في شكل خاص. انتقلت العائلة إلى بيروت في العام 1959، وتابع جبران دراسته في الليسيه الفرنسية، ومن ثم في جامعة القديس يوسف، ليحصل منها على شهادة في الاقتصاد والحقوق، وكانت له، لاحقاً، كتابات في مجالي السياسة وعلم الاجتماع. أما في ما يختص بالأعمال الفنية، فيبدو أن هذا النشاط كان بدأ عملياً منذ منتصف ثمانينات القرن المنصرم، بعدما أقام الفنان لنفسه محترفاً في الجبل اللبناني، بعيداً من نقاط التوتر، في زمن كانت الحرب اللبنانية تتتابع خلاله فصولاً، ويزداد الصراع الداخلي تعقيداً.

### بين النظرية والتطبيق العملي

كما يحدث عادة في مجالات الفنون البصرية، أو لنقل في أحيان كثيرة (مع العلم أن هذه التراتبية المنهجية لم تعد قاعدة ثابتة في الحالات كلها)، حين يبدأ الفنان مسيرته اعتماداً على منهج تأسيسي كلاسيكي، كي ينتقل بعدها إلى اعتماد مسالك أخرى تتوافق مع تطلعاته، فإن الدرب التي سار عليها طرزي تحمل بذور هذا الانتقال، من الزخرفة الكلاسيكية لبعض قطع الأثاث المنزلي، انتقالاً إلى أبعاد أخرى تتداخل فيها النظرية مع الفن، والحساب مع المؤثرات البصرية. وإذا كان الفنان سمير صايغ قد اهتم بالبعد الميتافيزيقي لفن الأرابيسك، وأثار جملة من النقاشات في هذا الحيز، فإن جبران طرزي، الذي لم يشأ التضحية بذاتية المتلقي في سبيل حسابات هندسية، كان اعتبر الأرابيسك مسألة ذات بعد مزدوج، متسائلاً حول حدود المعادلات الممكنة الأيلة إلى بناء اللوحة. عليه، تجاوزت لديه الرياضيات مع الشعور، والمعادلة الحسابية مع التشكيل، كي ينتقل من الزخم المميز للأرابيسك وفن الزخرفة إلى الفهم المفصلي الدقيق لتلك الأشكال الهندسية، التي صار في إمكانه رسمها بعيون مغمضة، استناداً إلى رؤى نظرية وأفكار مسجلة على أوراق يمكن رؤية أمثلة منها في المعرض.

إلى ذلك، وفي شكل أساسي، استطاع المعرض الاستعدادي أن يغطي المراحل كافة التي مرّ بها طرزي، بدءاً من الصناديق المطرزة بإرهاب، مروراً برسوم مونوغرافية، وبمرايا تستلهم إطاراتها رؤى الفنان النظرية والفنية، وصولاً إلى أعمال تشكيلية لونية يظهر فيها ذاك الإتقان الهندسي البعيد، عملياً، عن تهمة الجفاف المصقة بالهندسة، معطوفاً على إتقان لوني لا نشك في أن الفنان كان صرف الوقت الكافي، وربما أكثر، في إخراجها، ولا يخلو بعضها من مؤثرات بصرية تدكرنا بأعمال فازاريلي، وربما، في بعض الأحيان بمتاهات موريتس كورنيليس إيشير. هي، كما سبق ذكره، حياة كاملة لفنان وكاتب وشاعر كان عاشها جبران طرزي، قبل أن ينتقل إلى العالم الآخر في العام 2010، تاركاً إرثاً لا نشك في أهميته وموقعه في التراث التشكيلي اللبناني.

■ فنان وناقد وأستاذ جامعي.